المبادرات الجماهيريـــة ولجان الاحيـــاء الشعبيـــة خلال الاحداث في لبنـــان

غـازي الخليـلي

خلال الشهور الثمانية الماضية ، اي منذ نيسان الماضي حتى الان ، شهدت الساحة اللبنانية معارك حامية بين القوى الانعزالية والطائفية من جهة ، والقوى الوطنية من الجهة الاخرى ، وقد شملت هذه المعارك معظم المناطق ، واكتوت بنيرانها اوسع الجماهير ، لدرجة انه لم يعد بالامكان وجود موقف محايد لاي طرف او جهة لبنانية ، في الوقت الـذي كان فيه لبنان يشتعل رصاصا وقنابل وقذائف ، وفي الوقت الذي تحولت فيه الاحياء المكتظة بالسكان في معظم المدن اللبنانية الى ساحات قتال . لقـد كان لبنان خلال هذه الشهور الثمانية ساحة حرب فعلا ، فالاحياء في كل مدينة ، وحتى الشوارع في كل حي — احيانا — كانت عبارة عن جزر معزولة عن بعضها بالحواجز ومتاريس المقاتلين ، وخدمات المرافق العامة توقفت توقفا كليا في بعض المناطق او جزئيا في مناطق اخرى ، الاوساخ والقاذورات تراكمت في الشوارع بشكل كان يهدد بانتشـــار الاوبئة . المواد التموينية نفدت من الاسواق ، واصبح هناك شبه مجاعة يخيم على لبنان ، عندما تعذر تأمين رغيف الخبز . عائلات كثيرة تشردت ، اما لان بيوتها تعرضت للهدم والخراب من جـــراء القصف ، او لانها اضطرت للرحيل لان بيوتهـــا تقع في المناطق الفاصلة بين المقاتلين . اضافة الى ذلك فان الكثير من العائلات الفقيرة اصبحت بامس الحاجة الى المساعدة ، بعد ان فقدت مورد رزقهـــا الذي كانت تعتاش منه .

لقد طرح هذا الوضع مجموعة من المهمات على القوى الوطنية ، لا تتعلق فقط بضرورة بذل المزيد من الجهد التعبوي ، لتعبئة الجماهير سياســـيا والارتقاء بوعيها السياسي وقدرتها على مواجهة الاحداث ، ودعم امكانات صمودها في وجه العنف الفاشي ، بل تتعلق ايضا بضرورة ايجاد حلـــول سريعة لمجموعة من المشكلات الجديدة التي طرحت نفسها — وبالحاح — خلال الاحداث . فهل كانت القوى الوطنية بمستوى هذه المهمات ؟ وهـــل استطاعت ان تطور اشكالا جديدة من العمـــل الجماهيري في مواجهة مهمات من هذا النـــوع ؟ والى اي مدى كان تحرك القوى الوطنية — احزاب ومنظمات ومؤسسات اجتماعية — في مواجهـــة مهمات كهذه يسبق او يلتقي مع مبادرات الجماهير ؟

للاجابة على هذه الاسئلة ، قمنا بدراسة على الواقع ، شملت معظم الجهات والمؤسسات التي كان لها دور في هذا المجال في منطقة بيروت وضواحيها . وعلى ضوء الدراسة التي اجريناها، فقد امكن التمييز بين اربعة اشكال من العمـــل في هذا المجال ، وهي :

١ — المبادرات الجماهيرية ، وهي مبادرات ذاتية قامت بها العناصر النشطة من الجماهير في عدد من الاحياء لتأمين بعض الخدمات لسكان هـــذه الاحياء ، وقد تفاوتت هذه المبادرات من حي لاخر ، كما تفاوتت في نوع الخدمات التي قامت بها او اهتمت بها ، وذلك على ضوء طبيعة المشاكل الاكثر الحاحا التي كان يواجهها هذا الحي او ذاك .

٢ — الدور الذي قام به بعض الاحـــزاب والمنظمات الوطنية اللبنانية في هذا المجال .

٣ — الدور الذي قام به بعض المؤسسات او النوادي الاجتماعية اللبنانية .

٤ — الدور الذي قام به بعض مؤسسات الثورة الفلسطينية في هذا المجال ، وهنا ركزنا فقط على دور كل من جمعية الهلال الاحمر الفلسطينـــي ، واتحاد المرأة الفلسطينية . وقبل البحث في هـــذه الاشكال الاربعة من العمل ، ارى انه من المهـــم